شذرات

دروس الآداب الشرقية

في السنة ١٩٣٤ – ١٩٣٥

كان موعد افتتاح الدروس في معهد الآداب الشرقية[1] للسنة ١٩٣٤ – ١٩٣٥ نهار الاربعاء ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٤ ، فافتتحها الاب مرسيل لوبينياك اليسوعي ، رئيس المعهد البابوي الكتابي في اورشليم ، بمحاضرة عنوانها : « الممالك الآرامية في سورية ، وسيادة دمشق في القرن التاسع قبل المسيح ».

ومما يجدر بالذكر ان المعهد اعلن هذه السنة انه يعطي في آخر السنة ١٩٣٦ « شهادة اولى بالدروس الشرقية » ، على اثر امتحان يقدمه الطالب في تاريخ سورية وفنيقية وآثارها في العصور اليونانية - الرومانية والبيزنطية ، وفقاً لمنهاج خاص سيُنشر في ما بعد . وقد عيّن لإعداد هذا الامتحان سلسلة خاصة من المحاضرات العلمية يجد الطالب ذكرها في القسم الخامس من منهاج الدروس للسنة الحالية . اما تفصيل هذا المنهاج فكما يلي :

١ً : اللغة العربية وآدابها

عواصم الادب العربي : السلسلة الثانية : دمشق عاصمة الادب الاموي.

١٥ اشولة يلقيها فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف . من ١٠ كانون الثاني الى ٢٣ ايار ١٩٣٥

٢ً : التاريخ والآثار القديمة في سورية وفنيقية

١ : مملكة دمشق الآرامية وعلاقاتها بدولتي عمري وياهو في اسرائيل.

٥ اشولات يلقيها الاب مرسيل لوبينياك اليسوعي ، رئيس المعهد الاثري البابوي في اورشليم ، من ١٤ تشرين الثاني الى ٥ كانون الاول ١٩٣٤

---

(١) راجع في تأسيس هذا المعهد وغايته ، مشرق السنة الثالثة (٣٢ [١٩٣٤] ١٢٢) .

ب : الآلهة الفنيقية وطرق العبادة في فنيقية.

٥ اسئولات يلقيها الامير موريس شهاب ، امين المتحف الوطني اللبناني . من ١٢ كانون الاول ١٩٣٤ الى ٢٣ كانون الثاني ١٩٣٥

ج : بعض مظاهر المدنية التدمرية، استنادًا الى الآثار . الديانة، الفنون ، اللباس.

٥ اسئولات يلقيها هنري سيريغ ، مدير مصلحة الآثار القديمة في المفوضية العليا في بيروت من ٣٠ كانون الثاني الى ٢٧ شباط ١٩٣٥

د : انطاكية الوثنية والمسيحية ، استنادًا الى الحفريات الحديثة.

اسئولتان يلقيهما جان لاسوس ، استاذ في الادب من جامعة فرنسة ، وعضو المعهد الفرنساوي في دمشق . في شهر اذار.

٣ً : علم الشؤون الارمنية

تاريخ ارمينية الادبي والسياسي والديني منذ القرن الثالث حتى القرن الحادي عشر.

١٥ اسئولة يلقيها الاب جان ممبريان ، الاستاذ في كلية اللاهوت من جامعة القديس يوسف . من ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٤ الى ٢١ اذار ١٩٣٥

٤ً : تاريخ الكنائس الشرقية القديمة ومؤسساتها

ا : الآداب السريانية.

٦ اسئولات يلقيها الاب بولس موتزد اليسوعي ، استاذ الكتاب المقدس في جامعة القديس يوسف . من ١١ كانون الثاني الى ١٥ شباط ١٩٣٥

ب : الليتورجيات القديمة : درس الهيكل.

٦ اسئولات يلقيها الاب جان ممبريان اليسوعي . من ٢٩ اذار الى ١٢ نيسان ١٩٣٥

٥ً : محاضرات عملية في التاريخ والآثار القديمة

غاية هذه المحاضرات مساعدة الراغبين في الحصول على الشهادة الاولى بالدروس الشرقية، وهي تخوض في مصادر البحث وتحليل المؤلفات ونقد النصوص ، ودرس الآثار ووقتها وتنوعها . يدير هذه المحاضرات الاب ربنه موتزد اليسوعي . من ١٠ كانون الاول ١٩٣٤ الى ١٣ ايار ١٩٣٥

علم قراءة القرآن وفهرس مخطوطاته[1]

من جهود الالمان في سبيل إحياء العلوم أنهم اسسوا جمعية تساعد العلماء مساعدة مالية على القيام بالابحاث والدروس التي تطلب نفقات تنوء بها قوى الافراد . وان تلك الجمعية سهّلت سبيل العمل للسيد أوتو برتزل ، فسافر الى استنبول سنة ١٩٣٠ ، واشتغل في مكاتبها ، وبذل جهده في الاطلاع على ما فيها من المخطوطات الموضوعة في علم القراءة . ورأى في مكاتب العاصمة العثمانية من الكتب في ذلك الصنف ما هو جدير بالنشر ؛ ولكن اتى للعلماء ان ينالوا المبالغ للقيام بالنشرات العلمية ، والازمة الحاضرة آخذة بخناق الناس !

على ان السيد برتزل لقي في ادارة مجلة « الاسلاميات » الالمانية ، تشجيعاً على نشر لائحة المخطوطات في علم القراءة . فقدّمها الى قرّاء المجلة المذكورة في الكرّاس الاول للعام ١٩٣٣ ، وفي الكرّاسين الثاني والثالث للعام المنصرم .

عدّ لا اقلّ من ٥٦ مؤلفاً في علم القراءة ، ورتبها الترتيب العلمي ، وقدّم عليها بدرس في علم القراءة ونشأته ومصادره . فمنها الكتب التي تعنى بالقراءة على العموم ، وفيها ذكر للقراءات السبع ، والثاني ، والعشر وغيرها ؛ ومنها الكتب المختصة بالتجويد والوقف وعدّ آي القرآن . . .

ولم يكتفِ بالبحث عن تلك المخطوطات في استنبول ، بل استعان على الكلام فيها بما اطّلع عليه بذاته ، او بواسطة غيره ، من المخطوطات المحفوظة من هذا الصنف في احدى وثلاثين مكتبة ، اكثرها موجود في عواصم اوربة ، وبعضها موجود في القاهرة . فاشار اليها في كل مخطوط وصفه ، وذكر من المخطوط اوله ولائحة فصوله ، اذا ما كان سبيل الى ذلك .

في سنة ١٩٣١ عرّف المشرق (٢٩ [١٩٣١] ٣١٨) الى قرّائه « كتاب التيسير في القراءات السبع » تأليف ابي عمر بن عثمن بن سعيد الداني ، وقد عني بتصحيحه اوتو برتزل . وان المصحح خصّ في المقال الذي نحن في صدده

[1] Otto Pretzl, *Die Wissenschaft der Koranlesung*, Islamica, Heft 1, (1 1933 ; 2, 3, 1934

درساً بكتاب التيسير ، وحلله للقرّاء الالمان ، واستند اليه في ذكر روايات غيره من المؤلفين فافاد ، لا علم القراءة فقط ، ولكن علم العربية ايضاً ، لما بين علمَي الفراماطيق والقراءة من الصلات ، وقدّم على بحثه بديباجة حسنة ، وهي صفحة من تاريخ الآداب العربية يسرّنا تعريب شيء منها ، قال :

موضوع علم القراءة

علم القراءة موضوعه التلفّظ بالفاظ القرآن طبقاً لاصول وقواعد مستندة الى استعمال قرّاء القرن الاول الهجري . وهي تختلف في طرائق اللفظ ، وربما ادّت الى اختلافات في المعنى .

وقد كان لتسميع القرآن الشفهي اهميةٌ عظيمة منذ القديم لان محمداً اراد ان يكون كتاب المسلمين اشبه بكتاب اليهود والمسيحيين ، وهؤلاء يقرأون الاسفار المقدسة في صلواتهم ويلقّنونها الناس بالسمع ؛ فسمّاه قرآناً ، دليلاً على واجب تلاوته شفهياً ولم يكترث كثيراً لتدوينه خطاً . وبعد ان مات محمد ، خشي الصحابة ان يأتوا على عمل احجم عنه نبيّهم ، فلم يجمعوا وحيه في كتاب الى ان ظهر عثمان ، ثالث الخلفاء الراشدين ، فجمع آيَ القرآن ودوّنها خطاً ، ضناً منه لا بتحديد طرق قراءة القرآن ولفظه ، ولكن بصيانته من الزوائد والزوائد . فجمعت آيُ القرآن وسوره في كتاب واحد ، كان على ما فيه من المصاعب المتعذرة سبيل قرّائه — وهو مخطوط بالخط الكوفيّ المجرّد من الحركات والتشكيل — حاجةً من حاجات الاسلام الحيوية ، وقد صار اساس التشريع للبلاد التي اخضعها المسلمون لحكمهم . ولم يرضوا ان يترجموه الى لغاتها وتمسكوا التمسك الشديد بالعقيدة « ان القرآن أُنزل باللغة العربية فهو بطبيعته عربيّ » ، فكان ولا بدّ من ان يبقى عربياً . لكنهم قرّبوا متناوله من الناس بوضع القواعد في شرحه وفهمه وتحليله ، وهذه التعليقات كانت جزيلة الفوائد لا للمسلمين غير العرب فقط ، ولكن لمن تحضّر من العرب ايضاً من اهل الامصار ، بعد مغادرتهم الجزيرة مع الفتوحات ، وقد فقدوا لهجة البادية . فوُضعت لهؤلاء قواعد العلمين : علم الصرف والنحو وعلم القراءة . وامتاز بهما الاسلام لانهما باتصالهما بتفسير القرآن اصطبغا بصبغة دينية . وان علم الصرف والنحو وعلم القراءة

صنوان لا يفترقان ، وممثلو العلم الاول هم ايضاً ممثلو العلم الثاني كأبي العلاء المطار ، والكسائي ، والفراء ، وابي الحسن الفارسي ، وابي عمر الداني .

لم يكن في الغرب لعلم القراءة ما كان له في الشرق من الاهمية الدينية . على ان فيه من الاهمية التاريخية واللغوية ما يجدر بلفت انظار المستشرقين . وان لم يشتغلوا فيه ، الى يومنا ، فذلك لان مصادره غير الحصول عليها في غير الكتب المستحدثة . وذلك ان مؤلفات الاقدمين ، وعليها العمدة في تحصيل العلم ، صعبة المنال لم تتداولها ايدي الناس ولم يعمل فيها العلماء رويتهم على خلاف ما هو معهود من العلوم الصرفية والنحوية ، مع كون علم القراءة لا يقل قيمة عن علم الفراماطيق .

تطور علم القراءة

ان الاستاذ برجشتريسر ، من مونيخ في المانية ، بيّن في كتابه «تاريخ القرآن» (٣١:١١٦) ان علم القراءة يشمل عهدين ، وان المقابلة بينهما توقفنا على تطوره ، وتعرّفنا الى اهم المؤلفات الموضوعة في هذا الصنف ، وتقدير قيمتها .

في البدء كان تعليم القرآن يقصر جهوده على تلقين قراءة القرآن وحفظه ، من غير العناية الخاصة بلهجة دون غيرها . وان كان لملقن القرآن همّ فانما هو القراءة الصحيحة من غير خلل يؤدي الى اضطراب في المعنى ؛ وان كان له طريقته في اللفظ فهي اختيارية لا اجبارية ، وهو لم يكن يجبر عليها تلاميذه .

على ان القرآن لم يكن مشكّلاً بالحركات ، فكان ولا بدّ من ضبطه ، وكان الحكم في ذلك لما هو معهود بين الناس في استعمال اللغة العربية . هذا ما يظهر جلياً في كتاب ايضاح الوقف والابتداء لابن الانباري المتوفى سنة ٣٢٨هـ (٩٣٥م) ، وهو معاصر لابن مجاهد اول من علّم القراءة واثر في اصولها تأثيراً بالغاً . روى ابن الانباري القراءات عن القرّاء ، لكنه لم يؤدِّ رواياتهم بالاستقصاء ، ولم يفرق بين القراءة القانونية والغير القانونية .

اما فيما بعد ، فتغيرت الحالة تغيّراً جوهرياً :

كان ابن مجاهد قد اختار من القرّاء الذين سمعهم سبع قراءات ، وادخل في الاستعمال الفرق بين القراءة الشاذة والقراءة المتواترة ، ولم ينل اختياره من

الناس التفضيل المطلق لانهم بعده عدّوا ثماني قراءات ، وعشراً ، واربع عشرة واكثر ، وهم في ذلك يتركون الحرية في اختيارها ، بالرغم من علماء الحديث واحتجاجهم بان السبع القراءات او « الاحرف » تؤدي الى تحريف القرآن . على انهم اتخذوا الفرق بين القراءة الشاذة والقراءة المتواترة اساساً في تعليم القرآن،وقيّدوا مذهبهم بالقول ان القراءة سنة،فأغلق باب الاجتهاد في هذا العلم وقصر العلماء جهودهم على تفسير وفهم ما بلغ اليهم من تعليم محمد والصحابة .

فكان ولا بدّ من التعويل على الحديث لضبط القراءة . وحيث لم يكن حديث يستندون اليه في البتّ بمشكل ما ، صاروا يتخذون القياس والمقابلة بين الائمة قاعدة لتلاوة القرآن . ولما كانت الحرية مطلقة في اختيار قراءة دون غيرها ، ولكل امام روايات مختلفة مع اختلاف السامعين الآخذين بها عنه ، تعدّدت القراءات ووُضعت فيها الكتب ، لكل كتاب موضوعه طبقاً لاختيار صاحبه . فللداني عن نافع كتاب التقريب ، وهو على عشر روايات ، ولابي علي الفارسي كتاب الحجة على السبعة القراءات ، ولابي علي المالكي كتاب الروضة في القراءات الاحدى عشرة . اما كتاب التبصرة ، وكتاب التيسير فلا يُذكر فيها لكلّ إمام الا قراءتان . وان الفرق بين القراءة الشاذة والقراءة المتواترة ادّى بالطبع الى اهمال الاولى فلم يشتغل بها المؤلفون الا نادراً ، ومن كتبهم « كتاب الشواذ » لابن خالويه ، و « كتاب المحتسب » لابن جني .

ثم دخل علم القراءة في طور جديد مع ظهور كتاب « حرز الاماني ووجه التهاني » المعروف بالشاطبية لابي القاسم الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٣م) ، نظم كتاب التيسير للداني ، فصار كتابه مدرسياً يتعلّم فيه طلاب علم القراءة ، ووضعت الشروحات على الشاطبية نظماً ونثراً . ولما انتشر فنّ الطباعة في الشرق نال السبق على سائر الكتب كتاب « النشر في القراءات العشر » ، لمحمد الجزري ، المتوفى سنة ٨٣٣ هـ (١٤٢٩م) ، واثرت قصيدته المقدمة الجزرية في التجويد تأثيراً بليغاً في علم القراءة فطبعوها وشرحوها . وله ايضاً كتاب قيّم في علم القراءة مهيأ للطبع بركشتريسر ، اعني به طبقات القراء المسمى « غاية النهاية » . اما كتاب « الاتقان في علم القرآن » لجلال الدين السيوطي

فنيه كامل ما يرغب في معرفته عن علم القراءة . ف . ت .

الاصلاح اللغوي في تركية[1]

ان ما يسمونه الاصلاح او الانقلاب اللغوي نشأ منذ زهاء قرن في تركية، لما وضع احمد جودت (١٨٢٢ — ١٨٨٥) ، كتاب القراماطيق التركي ، واحمد وفيق باشا (١٨١٩ — ١٨٩٠) قاموسه ، وقد عني فيه بجمع الالفاظ التركية . وان تلك الدروس ساعدت على اليقظة الادبية التركية ؛ لكنها لم تحرز برنامجاً غرضه النهضة اللغوية القومية . فظلّت اللغة العثمانية في فكر الناس كمزيج لغات ثلاث اعني بها التركية ، والعربية ، والفارسية . وكان لا بدّ للمتضلعين منها ان يكون لهم إلمام باللغتين العربية والفارسية ونحوهما وتاريخهما ؛ وكان القاموس مكتظاً بالالفاظ العربية والفارسية غنياً ثقيلاً بها . وكذلك القراماطيق وقد تسربت الى طياته الاضافة الفارسية والمصادر العربية . في ايام نشأة السلطنة العثمانية ، لم يكتبوا باللغة التركية الا نادراً . ولما صاروا مع الايام يستعملونها في الدواوين كانوا يضمنون في المتن التركي العبارات الفارسية او العربية ، وذلك لاسباب دينية وسياسية . وفي غضونها كان الشعب التركي يحافظ على لغته وروحها الفطري . ومنذ زهاء ٥٠ عاماً دخلت تلك اللغة التركية الصميمة طوراً جديداً ، لما اخذ الادباء يستعملونها . ومنهم محمد امين (ولد سنة ١٨٦٩) ، وعمر سيف الدين (١٨٨٢ — ١٩٢٠) ، وضياء جوك الپ (١٨٧٥ — ١٩٢٤) ولم ينبذوا استعمال العربية او الفارسية نبذاً تاماً الى ان وضعت في السنة ١٩٢٣ مبادئ الاصلاح التركي الحديث ، واليك بنودها الثلاثة : ١ً استبدال اللغة المستعملة في الاتاضول باللغة العثمانية . ٢ً اسقاط اللفظة العربية او الفارسية ان كان لها مرادف في التركية . ٣ً التخلي عن كل تعبير عربي او فارسي غير موافق نحو اللغة التركية .

وكان للانقلاب الكمالي تأثيره الشديد في الاصلاح ، وقد قويت شوكته بانتصارات الغازي على اليونان والغاء السلطنة والخلافة ، فدخل مشكل اللغة

---

١) عن انور روسي في مجلة «الشرق الحديث» الايطالية : ك٢ ١٩٣٥ ، باختصار :
Ettore Rossi, *La Riforma linguistica in Turchia*, Oriente Moderno, pp. 45 sq.

في طوره الجديد. فوضعت سلسلة قرارات كانت اهم بنودها الغاء المدارس الدينية والغاء تعليم اللغة العربية ، وادخال الابجدية التركية اللاتينية ، واستبدال التاريخ المسيحي بالتاريخ الهجري . وما عتموا ان منعوا استعمال الابجدية العربية لا في المدارس فقط بل في البلاد وحكومتها ودوائرها ، واقتصروا على تعليم العربية والفارسية في كلية الآداب في استنبول ، وفي معهد الفقه. وقرروا جعل لغة الخطب تركية لا عربية . وكذلك ترجموا القرآن الى التركية . واجبروا القرارات بالتنفيذ ، وصاروا يؤذنون بالتركية. واجبروا كل شركة تركية او اجنبية على استعمال اللغة التركية في مخابراتها وسجلاتها ، وخطوا في ذلك خطوة جديدة في سبيل الاصلاح الكمالي، وغرضه التخلق باخلاق الغرب وتتريك البلاد.

وفي السنة ١٩٣٠ ظهر كتاب عنوانه « في سبيل اللغة التركية » ، ألفه صدري مقصودي ، وهو رجل تركي ، روسي الاصل ، درس في روسية والمانية ، ثم صار يعلم في معهد الحقوق في انكره . قال في كتابه يواجب تطهير اللغة التركية من كل اصل فارسي او عربي ، والتعويل على المؤلفات التركية القديمة لاستنباط الالفاظ من التراث التركي القديم الحي في لغة الاناضول وغيرها من بلاد اوربة وآسية ، اشتقاقاً ، شأن ما فعله اصحاب اللغات اللاتينية المستحدثة ، مستمدين الالفاظ من اللغة اللاتينية القديمة . وقدم صدري مقصودي كتابه الى رئيس الجمهورية ، فنال رضاه.

وفي السنة ١٩٣٢ انس الغازي « جمعية دروس التاريخ التركي » ، و « جمعية دروس اللغة التركية » ، وترأس الجمعية سامي رفعت بك ، وكان مساعده وكاتب الاسرار العام معه روشن اشرف بك. فعقد المؤتمر اللغوي الاول في قصر طوله بنجه في استنبول. وفي ختام المؤتمر حُددت غاية الجمعية ، وهي تعريف جمال التركية ، وجعلها في مقام يحلها محل اللغات العالمية. وفي الجمعية تشكلت لجنات لكل لجنة مهمتها ، فمنها اللغوية، والاشتقاقية، والتراماطيقية ، والقاموسية ، والفنية ، لوضع الاصطلاحات في المخترعات الحديثة . ونالت الجمعية موافقة الغازي. ودخلت الصحافة في الحركة فصارت تتعاطى شأن الالفاظ المستعملة في التدوين والتشريع ، وتتناقش في موضوعاتها . وفي غضون ذلك

كانوا ينشرون استعمال اللغة التركية في المعاهد والمؤسسات العمومية ، وبين الاقليات . ودعت جمعية « دروس اللغة التركية » سكان المدن الى التفتيش اللغوي الواسع النطاق . نشرت بالراديو او بالجرائد ١٠٥ لوائح من الالفاظ العربية او الفارسية الاصل ، وسألت الناس مرادفاتها التركية ، فجمعت اجوبة سكان المدن لتنشرها في مؤلف عنوانه « دليل الالفاظ التركية الموافقة للالفاظ العثمانية » — وجدير بالذكر ان الجمهورية التركية نبذت اللقب « عثماني » منذ الغت الخلافة وطردت سلالة بني عثمان — وطرحت بين ايدي الناس في تركية ، واوربة ، وفي الاناضول الوفاً من البطاقات او الاوراق لكي يدونوا عليها ما اصطلحوا عليه من الالفاظ المرادفة للالفاظ العثمانية المطلوب اسقاطها من القاموس ومن الاستعمال . وقد عمدوا الى المؤلفات التركية فصاروا يستنبطون منها الالفاظ التركية . وكان عدد العمال في ذلك الحقل يبلغ الثلاثين . فجمعوا من مطالعات المخطوطات ١٥,٠٠٠ بطاقة ، ومن ديوان لغة الترك لمحمود الكشغاري ١٢,٤٩٨ ، ومن قاموس اللغة التركية لردولف ٨,٤٢٨ ، ومن القاموس التركي لشمس الدين سامي بك ٧,٤٣٢ ، وعملوا المذرى في ذلك البيدر ، فطيّروا منه ٧,٠٠٠ لفظة عربية وغيرها من افرنسية ، وايطالية ، وعوّضوا عنها بثلاثين الف لفظة تركية مشيرين الى اصل كل لفظة من هذه الالفاظ . وان هذه الحصيدة تدلّ على جهود قيّمة جديرة بالثناء . ولكن ثابتها سرعة غرّها ، وتفاوت قيمة منشئيها وليس فيهم لغويّ اختصاصي .

قال السيد اتوره روسي ، ما خلاصته :

ان الحركة في تجديد اللغة التركية اساسها الانقلاب السياسي ، والقوة التي يستمدّها الاتراك من فكرتهم الصادقة ، او الموهومة ، ان اللغة التركية والامة التركية ، منذ القدم ، ارقى واعظم أمة ولغة ظهرت تحت الشمس او تكاد ! ولكن هل في تلك الفكرة من القوة ما يمكنها من تكوين لغة جديدة ؟ وعلى كل فان العربية والفارسية سوف تفسحان من تدريس اللغة التركية . ولكن ليس في ذلك ما يقرب منال التركية الى المشرقين ، وكانوا اذا تعلموا العربية او الفارسية وجدوا فيهما التسهيل الى لغة الاتراك ا ف . ت .

فهارس صبح الاعشى للقلقشندي

ان كتاب صبح الاعشى للقلقشندي ، بعد طبعه المصرية الاميرية باجزائه الاربعة عشر ، صار قريب المنال في المكاتب ، وأشهر من ان يعرّف الى قرائنا ولهم فيما كتبه الاب شيخو (مشرق ٣ [١٩٠٠] ٣١٠) ترجمة مختصرة لصاحبه ، وذكر لمؤلفاته . وقد قال ان صبح الاعشى « يتضمن خلاصة الفنون الادبية والعلوم العربية » كأنه الموسوعة او دائرة المعارف .

على انه مع حسن طبعه وترتيب فهارس فصوله في كل جزء من اجزائه ، ليس له فهرس عام يسهّل الوقوع على الموضوع من غير الاضطرار الى مطالعة الاجزاء كلها ، فلا يزال كالبحر الخضمّ لا يعثر على لآلئه الا الغوّاصون .

وان السيد محمد عبد الجواد الاصمعي ، بدار الكتب المصرية ، اخذ على عاتقه المهمّة الخطيرة في وضع فهارس القلقشندي ، وله الباع الطولى في هذا النوع من العمل المفيد ، وقد سبق ووضع فهارس « الاغاني » في طبعته المصرية الجديدة التي وصفها المشرق مراراً .

وقد ارسل يبشرنا بما عزم عليه من الاعمال ويستشيرنا في امر الفهارس ؛ فنشكر للعامل الهمام في خدمة العربية وآدابها عنايته بتلك المؤلفات الكبرى ، ونروي رسالته لما فيها من الفوائد ، ثم نبدي رأينا في الامر .

قال عن فهارس صبح القلقشندي :

« اما هذه الفهارس فتقع في نحو ثلاثين نوعاً مما وقع في الكتاب كالاعلام والاماكن والقبائل واسماء النبات والمعادن والاحجار والحيوان والكلمات (المفسّرة والمضبوطة بالعبارة والدخيلة والمستعملة في عصر المؤلف والالفاظ الاصطلاحية) والوثائق التاريخية والسياسية ، وقد قسمناها الى قسمين : داخلية وخارجية . اما الداخلية فهي المكاتبات التي دارت بين مصر والامم التي كانت تابعة لها . والخارجية المكاتبات التي دارت بين مصر والامم الاخرى . وفهرس خاصّ بالعادات والاجتماعيات ونحو ذلك . واعرّفكم لزيادة الايضاح ان كل فهرس من هذه الانواع سيكون مرتباً على الحروف الهجائية ،

وسنذكر بجانب عدد الجزء ورقم الصفحة وعدد السطر المناسبة التي جاء بسببها هذا الاسم، اذ رأيت ان سرد الارقام بجانب الاسم لايكفي في هذا الكتاب الكثير الاجزاء . فنرى مثلاً اسم « مصر » و« الشام » و« بغداد » و« ابن خلدون » و« ابن فضل الله العمري » وغيرها من الاسماء وردت في الكتاب مئات المرات فأبين للقارئ كل مناسبة ورد بسببها هذا الاسم حتى أسهل للباحث كل ما يحتاج اليه. اذ في مراجعته اسم « مصر » مثلاً ، وقد ورد في اكثر من ١٠,٠٠٠ صفحة من صحف الكتاب ولم يجد فيها ما يبحث عنه في الصحف التي راجعها ، تضيع لوقته ، فبيّنت المناسبات التي وردت في هذه الصحف خاصة بمصر . وهكذا في كل فهارس هذا الكتاب اذ لا اذكر اسم شيء والصفحة التي ورد فيها الّا بالمناسبة التي ورد بسببها »

ثم كان حضرته قد سبق وكتب الينا في رسالة غيرها :

« اودّ ان تشرفني بكلمة عن الفهارس وفائدتها مع تنويهكم بهذا العمل الشاقّ لانني كتبت الى الآن من مفردات هذه الفهارس نحو ٦٠٠,٠٠٠ الف جذاذة . »

فنتزل عند طلبه ونقول :

ان فائدة الفهارس بيّنة ، ليس فقط في وضع لائحة المواد اخذاً عن عنوان فصول الكتاب وابوابه لانها كالدليل في الطريق وكالمصباح في الظلام ، ولكن في وضع لائحة المواد بالترتيب الابجدي او القاموسي لما في المواد العديدة الواردة في شتى الفصول من الفوائد التي يُقتبس منها شعلات تنير علوماً كثيرة ولا يمكن اكتشافها من العناوين في الفصول .

وان ٦٠٠,٠٠٠ جذاذة تدلّ على عمل جبّاري هائل ، وطبعها على افتراض وضع كل مئة جذاذة في وجه واحد من حجم الاغاني في طبعته الجديدة المصرية ، سوف يقتضي لا اقل من ستة آلاف صفحة اي ما يكاد يوازي عدد صفحات صبح الاعشى بمجلداته الاربعة عشر . ولكن ألا يُخشى ان تتضخم المواد بين غثّ وسمين فتفقد السلسلة بطولها منفعتها القيمة من تسهيل الحصول على المقصود منها ؟

هذا بين يدي مجلد الاغاني الاول وفي آخره الفهارس الثاني ، وهي تستغرق خمس الكتاب واكثر ، وآخرهـا فهرس الموضوعات وليس هو بالجدي . ولعل المؤلف احجم عن وضع فهرس الجدي للمواد ، شأن گويدي صاحب الفهارس في طبعتها الافرنجيـة ، لان في الاغاني تقاطيع وتفاصيل يعسر معها جمع الفكر حول مادة واحدة . اما صبح الاعشى فليس الامر فيه كذلك . وفصوله تتناول مسائل مطولة ، وفهارس المواد في كل مجلد من المجلدات تحوي او تكاد تحوي في كل لفظة من الفاظها باباً جديراً بان يدخل عنواناً في فهرس الجدي . فلذلك ، لو سمح لنا الاستاذ الاصمعي ، لاشرنا عليه بان يكتفي بان يضم في سلسلة الجدية الالفاظ المهمة الموجودة في صدر كل مجلد من المجلدات عنواناً للابواب والفصول . وكفى بذلك اشارة الى اهم المواضيع . والمثال في ذلك اخذاً من المجلد الاول :

الكتابة : فضلها ١ : ٢٥ مدلولها ٥١ ، كتابة الانشاء ٥٤
النثر وترجيحه على الشعر ١ : ٥٨
الشعر يرجح عليه النثر ١ : ٥٨
الكتاب وآدابهم ١ : ٦١
ديوان الانشاء : وضعه في الاسلام ١ : ٦١ ترتيبه ١ : ١٠١ صاحبه ١ : ١١٠ وظائفه ١ : ١٢٠

فنكتفي بخمسة عناوين ، او بخمس جذاذات لهذه الالفاظ الخمس المطبوعة بالخط الرقعي ، على ان نضمها بعد نهاية الشغل في سلسلتها الجدية . واذا اضاف السيد الاصمعي الى هذا الجدول جدولاً آخر لاعلام الامكنة والاشخاص اكتفى بفهرسين وكفانا مؤونة السبيل الى مطالعة الكتاب السهلة ، ومن ثم سوف لا يزيد مجلد الفهارس المنوي طبعه على حجم مجلد من مجلدات القلقشندي الاربعة عشر .

هذا ما نراه موافقاً لذلك المشروع الخطير . اعربنا عنه ، مع التحفظ ، عسى ان يرى غيرنا ما لا نراه ، ويكون احق منا بان يدلي برايه ، واننا نتمنى للسيد محمد عبد الجواد الاصمعي ان ينهي فهارس القلقشندي باسرع ما يمكن ويتحف العربية بها وبامثالها كفهارس نهاية الادب للنويري ، كما وعدنا بذلك

ف . ت .